



البحث عن احمدي خاني

البحث عن احمدي خاني
البحث عن احمدي خاني

ينتبه أيما زائر لمدينة دهوك لاسم قد يبدو غريبا عليه .. اسم غير مالوف يتكرر على النحو التالي صيدلية مم وزين .. اسواق مم وزين .. خياطة مم وزين .. مكتب عقارات مم وزين .. ميدان مم وزين الذي توج وسطه بتمثال لم وزين وهما متلاصقان . واذا ما وقعت رواية الريش لسليم بركات بيد هذا الزائر .. ودفعه فضوله لقراءتها ، فسيعرف بان مم وزين هما بطلا القصة الشعرية التي كتبها الشاعر والمتصوف الكبير احمد خاني . ولكن بطل رواية الريش -الذي كان اسمه مم- يختلف عن بطل خاني .. اذ استطاع سليم بركات ان يضيفي بعدا جديدا على بطل روايته جعله لا يبدو امتدادا لبطل احمد خاني .. وان كان يشبهه في هواجسه .. ويحثه وإصراره على حب ازلي عميق .

◆ نوزاد حسن الريكاني / بغداد

وربما في مكتبة ما يلتقي هذا الزائر بصورة احمد خاني المرسومة على غلاف احد دواوينه .. ملامح لطيفة لشباب نحيل بلحية سوداء وعيين سوداوين وعمامة تنسجم مع الملامح والملابس الملونة . للوهلة الأولى قد تترك الصورة انطباعا قويا فينا ونتساءل اليست هذه صورة شاعر ثري من إحدى الحواضر الإسلامية في العصر الاموي .. جلسته المستقيمة توحى بانه على وشك الوقوف لانه لايمك مزيدا من الوقت .. هذه الصورة التي نجدها امامنا في كل لحظة ندخل فيها الى مكتبة ما او نمر ببائع كتب على الرصيف وهم قلة هنا تجعلنا نتفحص التمثال النصفي الذي وضع على ناحية شارع في دهوك . عمر خاني كما تجسده الصورة المرسومة على الغلاف لا يتجاوز الثلاثين على ابعد تقدير .. لكن التمثال النصفي يظهر احمد خاني وقد جاوز الأربعين عاما .. وانه يبدو اكثر وقارا وسكونا .. وعلى الرغم من العمامة التي

الفلكي ولدينا المثقف ولدينا صاحب الزاوية (ملاحظة: لكن ليس لدينا السياسي).. هذه الشخصيات سلط الضوء عليها جيداً، وهي موجودة في قصته الشعرية مم وزين. ان روح خاني تظهر في عدة شخصيات متنوعة.. هذه وجهة نظر باحثيه، ومهما يكن صواب المنهج البحثي الذي اخضع احمد خاني له فاني اعتقد بان هذا المتصوف ما زال بحاجة الى الدراسة والبحث. ولا بد ان تخضع اعماله الشعرية الى دراسة تاويلية جادة تضعه في مكانته الصحيحة. لذلك ارى ان الفرضية التي يمكن ان ننتقل منها عند دراستنا وقراءتنا لنتاجاته تتجسد في اعتبار احمد خاني على انه شكسبير الكردي.. وانه يجب ان يبحث بصورة اكثر عمقا وبتضافر جهود عديدة.. لا كتابات عابرة يكون منهجها البحثي قائماً على التذكير بإنجازات خاني لقوميته ولغته.

اعتقد ان خاني عذب الباحثين بعده.. لانهم لم يجدوا له حياة ذات تضاريس واضحة. وحاول بعض الباحثين ان يخترع له التفاصيل التي تعطي لحياته مذاق الحقيقة دون الاستناد إلى وثائق. لكن هل كان لشكسبير حياة ذات تضاريس واضحة؟ هل كان لشكسبير صورة شخصية عدا الصورة التي رسمتها له احدى جاراته ودار حولها نقاش بين مؤرخي سيرته (التعريف بشكسبير- عباس العقاد- بيروت ص75).. ومع ذلك كان فضل شكسبير على اللغة الانكليزية كبيراً.. تماماً كما كان تأثير خاني على اللغة الكردية.

اذن لنحاول تاويل احمد خاني على أساس انه شكسبير الكردي.. وان تأثيره يكمن في قلب كلماته التي لم تفهم جيداً على حد تعبير احد الكتاب الغربيين (احمد خاني فيلسوفاً ومتصوفاً- عز الدين مصطفى رسول- جامعة بغداد- ص6)

2

شيئاً فشيئاً اصبح احمد خاني بسبب ما كتب عنه وبسبب مقلديه الكثر يلعب دور المركز

جعلته يشبه قارئاً من قراء الأثر .. بيدين ضخمتين ارتختا على كتاب صمم بشكل عامودي فاننا نشعر بوفرة من نشاط وحيوية واضحتين تليقان بمتصوف ثوري من طراز احمد خاني.

اريد القول بان الزائر لمدينة دهوك يقع في شباك احمد خاني. الا يشعر ذلك الزائر بانه محاصر من كل الجوانب باسم له حضور كثيف؟ بكتاب يحمل صورته المرسومة.. بتمثال نصفي .. باناشيد خاني التي كان طلاب المدارس الدينية ينشدونها الى وقت قريب . وما زالت تبث من احدى القنوات المحلية في دهوك .. بالكتابات السياسية والذءات الحماسية الكردية التي لا تستغني عن اسمه (احمد خاني.. فيلسوفاً ومتصوفاً.. د. عز الدين مصطفى رسول.. جامعة بغداد ص8) . بلا شك يشعر الزائر بانه محاصر ولا بد له من اقتناء كتاب يتحدث عن سطوة هذا المتصوف والتوغل في عالمه الرائع ونقمة الهادفة لو جاز القول. حضور احمد خاني كثيف في دهوك .. انه يمنحها بعداً جديداً لتكون مضمخة بعبق اللانهائي الذي طاف به . ففي كل طبعة جديدة او شرح جديد يتوسع المدى المحدود وتفتح الافاق لكي تتلقى بقلب او قلبين يندفعان للوصول الى عالم خاني. ويفوصان فيه.. وهكذا يتوسع مدى اللانهائي في أعماق الذات، ويسقط الهوس المادي الى الحضيض.

1

كثير من شبان الكردي.. والبالغين لا يعرفون ان مم وزين من تاليف احمد خاني. ولا يعرفون ايضاً قصة هذا المتصوف الكبير وأثره في التراث الكردي والإنساني. ان دور خاني وحضوره الكثيف في دهوك.. وولد حركة مقابلة تتمثل في اهتمام الباحثين بادبه وتصوفه. لقد كتب عنه الكثير، وتناولت شخصيته عشرات الأقلام. كانت الكتابات تنهال عليه عارضة روحاً تتوزع في عدة شخصيات، ولدينا مثلاً احمد خاني الفيلسوف، ولدينا المتصوف، ولدينا المصلح ولدينا

صورة احمد خاني وتمثاله النصفي _ كما ارى _ لا يعكسان بدقة ملامحه الحقيقية .. لهذا ارى ان شكسبير الكورد مازال غير واضح الملامح رغم المحاولات الكثيرة لدراسته وشرحه وتفسيره .علينا ان نحاول البحث عن مواقف جديدة لاحمد خاني .. تثري شخصيته وتسلط الضوء اكثر على العلاقة الحقيقية التي ربطت احمد خاني بزمنه .. في قصته الشعرية (مم وزين) نعثر على وجه اخر له .. وجه قاس وقلب لا يهادن احداً .

3

نقمة احمد خاني

.. يشعر المثقف باحباط كبير حين لا يجد من يتفهم موقفه او يتعاطف مع مشروعه الذي يريد ايصاله الى الجماهير . هذا التجاهل جرثومة تدفع المثقف الى النقمة.. اي تحول المثقف الى مجرد ذات ناقمة على المجتمع .. ذات تاكل ذاتها لو جازت القول . ولا يبقى من طموح المثقف الا ظلال هذه النقمة التي تنسف جمال المشروع او قوة الامل لديه .. لناخذ مثلاً ابو حيان التوحيدي .. كان ناقماً على الوضع البائس الذي وجد نفسه فيه .. كان فقيراً مع انه كان مثقفاً من طراز رفيع .. ولطالما شكى اوضاعه البائسة التي لم يتجاوب معها احد .. وظل على تلك الحال حتى انه كان ياكل في بعض الاحيان الحشائش من على شاطئ دجلة .. وقيل انه احرق كتبه .. وربما اعانتنا دراسة متأنية لادبه على اظهار ذلك الخط المتنامي من الإنهيار الذي وصل اليه لكنه في النهاية لم يستطيع ان يتجاوز معضلة حياته وظل يدور في نطاق النقمة التي انهكته كثيراً.. ناقم اخر .. هو المتنبى هذا الشاعر العظيم كان يرى تهاقت الواقع من حوله.. فالامراء شبعوا ترفاً .. وهم مقادون من قبل الاعاجم .. ومع انه كان شاعراً يمدح الامراء ويتفلسف.. الا انه كان يعتقد انه خلق للعب دور اكبر من دور الشاعر.. وانه لابد ان يجمع الى ملكة الشعر.. كرسي السلطة.. ولذلك جاهر علانية في احدي قصائده امام كافور

بالنسبة الى المحيط . ولا يمكن لهذا المركز الا ان يجذب الانظار والعقول اليه . فكما حاصرت روح احمد خاني دھوك الوداعة . حاولت الكتابات الكثيرة ان تفهمه وتقترب منه . لكنها حولته وربما بعد هذا امتيازها الوحيد الى جوهر روحي يستمد منه الاكراد هواجسهم القومية .. وخالصة العشق .. وبعبارة اخرى منح احمد خاني الاكراد كينونة وعشقا في وقت واحد . لذلك ينبغي ادراك نوع الرابطة بين حضور خاني من خلال ادبه وتصوفه وبين سيل الكتابات عنه .. حضور لا ينازعه فيه احد .. تحول بمرور الوقت الى شاهد على مسيرة الأجيال اللاحقة .. الى اين تسير ؟ وماذا تريد فعله ؟ وكيف تنظر الى هذا الكون ؟ هل ينبغي بعد كل ذلك ان نقيم تمثالا نصفيا لاحمد خاني يقع خارج معادلة .. الحضور/المركز، ونضعه متعجلين على ناحية شارع في دھوك . هذا الوضع الذي حشرناه فيه لا ينسجم مع الواقع الفعلي لتاثير متصوف من طراز خاني . اننا نحتاج الى شي بسيط يعيد التمثال النصفي الى قلب المعادلة السابقة .. نرحزه قليلا بضعة امتار من المكان الذي سجنناه فيه حيث لا يشكل وجوده هناك الا نغيا اكيدا لحضوره كرائد .. كما لا يمثل ابدا مكانته الحقيقية كمتصوف استطاع ان يسمو بتصوفه على مهزلة الدروشة التي انحدر اليها التصوف ايام الحكم العثماني (مدارات صوفية هادي العلوي دار المدى 1997 ص 228) اذا زحزحنا تمثال خاني بضعة امتار فسيكون مكانه الجديد ضمن المعادلة الحقيقية كونه مركزا روحيا أي- نضعه في تقاطع منطقة الكلي - . وهكذا يستطيع ايما عابر سبيل ان ينتبه الى وجود تمثاله على عكس المكان السابق . لنتخيل احمد خاني وتمثاله النصفي في التقاطع الذي يبعد بضعة امتار عن المكان القديم . خاني الان يقع مرمى الناظرين القادمين من الشوارع الاربع انه في مركزه الحقيقي ، لذلك لا يمكنني ان استوعب وجوده الا في مكانه الجديد وكلما مررت من هناك راودني هاجس بانني ساراه حيث اتخيله . ان

ان للشعوب كتبها اما الاكراد فلا نصيب لهم في ذلك
(الدر الثمين في شرح مم وزين-جان دوست-دار
سبيريز للطباعة والنشر-2006-ص186)
عرف احمد خاني انه قام بمغامرة ربما
ستعرضه الى التجاهل والنسيان.. لكن كل
حركات التجديد التي قلبت الانظمة الجامدة كانت
تنطوي على مغامرة من نوع فريد..لقد عرف احمد
خاني ان الانسان يفكر بلغته..هذه الحقيقة
الجوهرية كانت دافعا له لكي يكتب بلغته هو..كان
باستطاعته ان يشرب الخمرة الصافية كما قال-
أي الكتابة بالفارسية او التركية- الا انه فضل
عليهما الثمالة أي الكتابة باللغة الكردية ، وفي
الحقيقة لم يكن لمحاولة خاني تاثير كبير كما
سنرى لكننا اليوم نعرف قيمة ما فعله هذا الرجل
.. ان اسهم في تشكيل الوعي النقدي لدى
الكورد. ويضيف احمد خاني سببا اخر لكتابة
ملحمة مم وزين قائلا:

وايضا لكي لا يقول اهل الرأي ان الاكراد لم
يجعلوا العشق هدفا لهم

ليس فيهم ذو قلب يعشق ولا حسناء تعشق
انهم محرومون من الحب فارغون منه بنوعيه
الحقيقي والمجازي
(نفسه ص186)

اذن كان احمد خاني يصر على لعب دور مهم
ينعكس في نقطتين أساسيتين،الاولى تقديم ادب
مكتوب سيكون نقطة التحول في تاريخ الأدب
الكردى..فبعد ان قطع ذلك الادب شوطا طويلا في
مرحلته الشفاهية غير احمد خاني مساره الى
وجهة اخرى..فكانت مم وزين- وهي قصة
شعرية- وكتاب (نوبهارا بجوكان)- وهو قاموس
للاطفال صيغ شعرا شرح فيه بعض مفردات
اللغة العربية وجعل له مقدمة دينية وكتاب (عقيدا
إيماني)- وهو منظومة شعرية بحثة-نناجات
بارزة على ولادة ادب مكتوب له قيمة بنائية
وجمالية.. والنقطة الثانية تتعلق بمسألة العشق..
فقد كانت هذه المسألة من الاهمية بمكان، لا سيما
وان احمد خاني اضى على قصته طابعا صوفيا

بطلب ولاية او ضيعة منه .. ولكن المتنبي لم
يحصل لا على السلطة ولم يتغير اولئك الامراء..
وهذا ما جعل المتنبي ناقما .. بل كان يخرج على
اداب الشعراء مع الملوك بكل حرية. وكان يسخر
من كافور في شعره.. وكان ذا كبرياء لا حد لها..
لماذا اندفع المتنبي الى كل هذا ؟ لانه لم يحصل
على ما كان يريد .. وفقد قدرته على التوقع تماما.
بمعنى انه ادرك بانه سيظل صاحب كلمات في
زمن قال فيه ابو تمام قبله.. السيف اصدق انباء
من الكتب . ومع ذلك ظل المتنبي كبيرا ينتقل من
مكان لآخر .. ويواصل قراءاته ووسع تجربة حياته
حتى مقتله .. لقد خرج من نقمته ،الى كبريائه
بعبارة اخرى.. سيطر كبرياؤه على نقمته.. وهكذا
اوجد التوازن النفسي لذاته حتى مقتله.. ثمة
امثلة كثيرة نرى فيها كيف يتعامل الشاعر او
الفيلسوف مع واقع يولد فيه نقمة تأكله من
الداخل.

4

لكننا في الحقيقة ازاء نقمة جديدة ونحن
نتحدث عن احمد خاني .. فهذا الرجل المتصوف
عاش في زمن معقد الى درجة كبيرة . كانت هناك
امبراطوريتان في القرن السابع الميلادي هما
الامبراطورية التركية والفارسية.. وكان لهاتين
الامبراطوريتين صراعهما الدامي.. وثقافتهما
الرصينة .. الى جانب الثقافة العربية المتمثلة
بالتراث الاسلامي.. هذه اللغات كان خاني
يجيدها.. وكان بمقدوره ان يكتب باحدهما لكنه
عدل عن ذلك وفضل الكتابة بالكردية فما الذي
حصل يقول خاني في احد قصائده:

والحاصل انه- ظلما او عنادا-ابتدع هذه الجديدة
لقد ترك صافي الخمر وتجرع الثمالة
انه رتب درر اللغة الكردية في عقد نظم
وتجشم المصاعب في سبيل عامة الشعب
حتى لا يقول الناس ان الاكراد يفتقرون الى
المعرفة والاصل والاصل النجيب

انه رحمة خاصة للعامة فامنحه يا رب طول البقاء

(مم وزين ص197)

في هذه الإشارات العتابية يظهر خاني ناقما لكن نغمته على تجاهل مشروعه التنويري لن تقف عند هذا الحد..لأننا سنرى تصاعدا دراميا لموجات هذه النعمة ..نقمة قاسية حادة صريحة واثقة جريئة واحمد خاني في موقفه هذا لا يختلف عن منصور الحلاج الذي اعدم بسبب اتهامه بقيادة ثورة ضد الحاكم العباسي (مدارات ..هادي العلوي ص150) ولا يقل ايضا جراحة عن الشيخ عبد القادر الكيلاني ذلك المتصوف الفذ الذي كان يخاطب نخلة في مسجده قائلا لها وهو على منبره يخطب (لا تهتزي اقطع راسك) يقصد الشيخ الخليفة العباسي..(نفسه ص178) يسمو احمد خاني الى مرتبة المتصوفة الذين كانوا يعطفون على الفقراء ويوجهون نقدهم الى الاغنياء والحكام. وفجأة يضعنا احمد خاني في مواجهة إحدى موجات نغمته.. فبعد العتاب نجد له بيت حاد قال فيه:

**بقهره يضع من قدر الشرفاء..
ويلطفه يرفع من شان الأصاغر**

صرنا مجبرين للعودة إلى أبيات كنا قرأناها سابقا لنعيد قراءتها مرة أخرى.. لكننا نقرأها الان بوعي متفتح خاصة بعد معرفتنا بتجربة خاني مع أميره.

بعد ذلك تتصاعد نقمة احمد خاني، وتاخذ مدى ابعد ويصبح نقده اكثر حدة.. يقول:

**ولكن من الازل قدر الله علينا هكذا سطر علينا هؤلاء الترك والفرس
ان كانت تبعيتهم عارا فانه عار على الناس البارزين
النخوة من الحكام والأمراء فأى طاقة للشعراء والعامة**
(مم وزين..ص177)

يوجه خاني نقده المباشر الى الحكام والامراء ..ثمة تبعية غير مقبولة من قوى خارجية يرفض خاني الرضوخ لها ويرى من العيب ان يبقى الاكراد تحت تبعية الاجنبي.. خاني يحرض بلا تردد. يلاحظ القاريء المنحى الذي اتخذته نغمته، يلاحظ أيضا تغير الإيقاع الذي كان يسيطر

مؤثرا.. حيث لم يكن الجو العام للملحمة يماثل اجواء كثير من قصص الحب العذري التي غالبا ما تنتهي نهايات غريبة وغير منطقية..كنهاية قصة مجنون ليلي. في قصة خاني الشعرية يكتسب الحب بعدا لا متناهيا وشفافا يسمو على كل النزعات الحسية التي تلوثه حتى يصبح بضاعة او هدفا غريزيا هابطا.

كان خاني يأمل أن تجد كلماته صداها لدى الجميع، وان يرعى مشروعه التنويري من قبل الجالسين على الكراسي.. لكن امنية خاني لم تتحقق..كانت أعماله في حينها موضوعة او بدعة جديدة كما قال هو بنفسه..وقد صرح بذلك في قصته مم وزين:

**الا ان حاكم هذا العصر المتصف بالمعرفة لم يعرني اهتمامه
هذا الأمير الذي اسمه ميرزا له نظرة اكسيرية
فهو يحول المعادن الخسيسة إلى جواهر نقية
وينظرة واحدة منه يحول الفلوس الحمر الى ذهب
بقهره يضع من قدر الشرفاء..ويلطفه يرفع من قدر الأصاغر**
(نفسه ص194-195)

يتحرك هذا النص في فضاء العلاقة بين السلطة والمتقف..او بين المؤسسة الحاكمة وبين الخطاب..فالحاكم الذي كان يمثل السلطة لم يكن عابثا بمشروع احمد خاني..بهذا المعنى لن تكون العلاقة بين السلطة والنص التنويري-كما كتبه خاني- مبنية على استلهام الرؤيا العامة التي طرحها هذا المتصوف الكبير..كان ثمة فجوة بين توجهات الأمير وتوجهات خاني، ومع ذلك نجد النص السابق ينطوي على تذكير الأمير المذكور بقيمة العمل المهمل، وهو لا يندفع في توجيه اللوم الى الامير المتشاغل بشؤون امارته لكن البيت الاخير يبدو جريئا بما فيه الكفاية لاسعا كالبرد جارحا كالشوك.انا انحنى لهذه الجراءة لكن خاني في بيتين تالين يخفف من نقده وهو يوجه كلامه الى الامير:

**لو جاد علينا بنظرة ومنحنا إكسير توجهه المبارك
لتحولت هذه الاقوال كلها اشعارا..وهذه الفلوس الى دنائير
لكن نظرتة عامة كثيرا لذلك لم يلق لي بالا**



استغلال الفقراء واكتفوا بالتوصيف الذي يدرج عمل احمد خاني في قائمة قصص العشق العذري. ربما يكون خاني هو من دفع الباحثين الى هذا الاعتقاد.. فقد صرح في قصته مم وزين بان احد الأسباب التي دعتة الى كتابة هذه القصة هو الرد على من يقول بان الاكرد لا يعرفون العشق وليس بينهم حسناء تعشق. لذلك كتب خاني قصته الشعرية مم وزين، لكن هذا السبب الوجيه لم يتحكم تماما بروح النص اذ حاول خاني ان لا يتجاهل بؤس واقعه المرير او يدير ظهره الى الفقراء.. كل ما يملكه خاني هو كلماته التي يحاول من خلالها ان يقدم صورة غير مزورة للأحداث والعلاقات في زمنه. النص السابق يطفح بالسخرية.. الامراء في حقيقة الامر طواحين تدور ليل نهار ولا تتوقف عن الحركة.. دوران دائم.. حركة مستمرة. وهناك من يقوم بالإشراف على غلال الطاحونة نيابة عن الامراء، الطاحونة تدار من قبل مشرفين فاسدين ظلمة يفعلون كل شيء بعلم الامراء دون توجيه أي لوم لهم.. ثمة تواطؤ بين الامراء وبين أولئك البوابين، ثمة علاقة خفية يشير خاني اليها، بصراحة، بين السلطة والمال أي بين انتهازية

على شعره.. اننا ازاء شاعر لا يشخص العيوب والأخطاء والتجاهل فقط بل يوبخ من يسهم في إشاعة تلك المظاهر. ولا يتردد احمد خاني في وصف الأمراء والحكام بالعار وهذا بحد ذاته يكفي للدلالة إلى صفاء نغمته.. ومدى جرأته في نفس الوقت. لكنه من جهة أخرى يحاول ان يوضح انفعاله بطريقة تنسجم مع اهداف صوفي ورع مثله. فالدنيا ليست حكما وثراء فحسب انها كفاح طويل للتخلص من اسر الخضوع والعبودية والإذلال. هذا ما كان خاني يريد إيصاله للجماهير، ولكي يؤثر احمد خاني في قرائه من خلال بلاغته المتعمدة ضرب مثلا رائعا.. يقول :

لقد سالت الدنيا سؤال حكيم

ما مهرك

فقالته الهمة

(المصدر نفسه..ص177)

في بعض الأحيان يصبح طرح الاسئلة كشفا لمعنى الحرية.. وفي ازمنا القمع تموت براعم الاسئلة لتنمو براعم الرضوخ. لكن سؤال احمد خاني في حواراه مع الدنيا ينطلق من وعي نقدي يحاول تاسيس بلاغة للفقراء الذين يسرقون في كل لحظة.. الحكام والأمراء الآن يتعرضون لنقمة خاني انه حتى هذه اللحظة يحاورهم بوسيلة شفافة أي تقريبا حالة ما عن طريق تشريحها بمثال. اذن من سيضمن للامراء والحكام ان يبقى خاني ملتزما بهدوئه.. بلا شك لا احد لنقرا هذا النص العنيد الى درجة الصراخ يقول :

نحن الامراء كالطواحين، كثير الفتل والحركة والدوران

فلا بد لنا من طحان، ولا مناص لنا من بواب

ان إدارة الحكم بأيدينا نعدل أحيانا ونجور أحيانا أخرى

ان يكون.. وان كان زنيما فانه يدير طاحونتنا

وهؤلاء الناس (أمثال بكو) وان كانوا ظالمين ومفسدين وبوابين

فهم الذين يدبرون طاحونة الظالم، ويطنون غلاتنا نحن الظالمين

(المصدر نفسه..ص364)

كيف يمكن ان يجد مثل هذا الشعر مكانه في قصة شعرية كتبت لملاء الفراغ في المكتبة الكردية؟ ولا اعرف كيف تجاهل الباحثون قضية

الدوران..الآن تحصد اكوام الغلال لتصب اخيرا في جيب من يملكون الامر والنهي.في الظاهر تدور الطاحونة بوصفها وقفا عاما لكن في الباطن لا ..كذلك هي تمتلئ بالغلة الحرام.فهناك من يشقى في زراعة هذه الغلال اشهرا طويلة لتستقر اخيرا في مخازن بكو الزنيم.

يفصل احمد خاني بعد ذلك الصورة اكثر لتتطابق مع حجم الظلم الذي يعاني منه المجتمع الكوردي:

وهذه العادة لا تخص الامراء وحدهم الا تمن النظر في ابواب الفقراء؟

انهم ايضا اتخذوا الكلاب حراسا وبوابين حتى سلطان عرش الأهدية-الله- ولاجل تدبير الأمور ونظامها والحلاصة لا يتخلى الأمير عن كلبه، وكان يأتي بالمهجع لاثبات ضرورته

(المصدر السابق ص365)

يعتمد خاني على السخرية في إبراز تفاصيل المشهد ..السخرية ليست أسلوبا لنقد ما هو خاطئ وتسليط الضوء عليه.انه موقف إنساني يحاول خلق الوعي النقدي من اجل تجاوز الانتهاكات التي تقع على كاهل الفقراء.لذلك يواصل خاني سخريته إلى اقصى حدودها،فالامراء ليسوا مخطئين في كل ما فعلوا لان الفقراء يحرسون ابوابهم بالكلاب .. وسلطان عرش الاحدية-الله- خلق الملائكة لهذا الغرض ايضا .. اذن ما المشكلة اذا كان الامراء يستخدمون بوابين يسرون امور الرعية.

ان الحكام في الباطن والظاهر كالنار بدون شك فهم في الظاهر نضرون منوروا الوجه وفي باطنهم يعيدون عن المداراة

عندما يرجمون يكونون كالشمس،وعندما يغضبون يحرقون العالم

حذار ان تثق بهم حتى لو كنت أبا أو أبا أو ابنا خاصة إذا كان القربون منهم سيئون..فالعياذ بالله منهم

(المصدر نفسه ص374)

يريد احمد خاني بعد سخريته الهادفة،ان يزرع عدم الثقة لدى كل الفقراء بالحكام والامراء



الحكام وبوابيهم من جهة والسلطة من جهة اخرى. وليس هناك ما هو اكثر بشاعة وسخفا من ان يكون المشرف على غلال الفقراء زنيما او سارقا، تقترب صورة الجشع في المقطع السابق من الصورة التي رسمها ابو الطيب لنواظير مصر الذين كانوا يحرسون بساكنيها في زمن كافور الاخشيدي. ان كان الفقراء يغرقون ببؤسهم فيما النواظير يسمنون من كثرة الاكل والسرقة:

نامت نواظير مصر عن تعالبيها

فقد بضمن وما تفنى العناقيد

الصورة ذاتها تتكرر..في إطار ساخر لكن السخرية تحيل الى رسم صورة مقابلة للفقراء الغائبين عن المشهد ..وهنا تكمن قوة وجرأة اللوحة.ان افضل ما يمكن قوله عن هذا الشعر هو انه يؤسس بلاغة للفقراء.

يسترسل احمد خاني في رسده لاختفاء الواقع ببراعة يتميز بها كبار المتصوفة:

ان طاهرتنا وان كانت وقفا عاما، الا انها مليئة بالغلة الحرام تلك الغلة يزرعها احد ما وسيحصدها لنا هذا الحارث (بكو)

(المصدر السابق ص365)

لمسة اخرى تضاف الى المشهد السابق..مشهد الطاحونة التي لا تكف عن

ويجعلونهم أصدقاء وقادة، وهكذا يصبح
السيئون وزراء وقادة
الأمرء يستندون الامورالى هؤلاء الأشخاص
فيسببون القصور للدولة

(المصدر نفسه ص526)

الإشارة ذه المرة الى طبقة اخرى بيدها
مقاليد الحكم لا طواحين الغلة الحرام..فكل من
هو سيء يحصل على منصبه الهام دون ادنى
جهد او معرفة.يذكرنا هذا النقد الجريء بنقد ابو
العلاء المعري للامراء في زمنه. مسالة ،كما يرى
خاني، ليست بهذه البساطة اذ ان استخدام
شخص في منصب او وزارة ما..لا ينبغي ان يتم
بدافع شخصي بحت . لا بد ان يخضع من يرشح
للوارة او المنصب الجديد الى الامتحان
والجربة.يقول:

اما الامراء اصحاب الفراسة والسياسة واصحاب الثقة
فلا يقبلون أي شخص دون ان يمتحنونه
يجربونه اربعين مرة ثم يقربونه اليهم

(المصدر نفسه ص 526)

شروط خاني واقعي جدا ..هو دعوة للامراء بان
يتوقفوا قليلا عن التصرف الشخصي بكل شيء
لان هذا الاسلوب سيؤدي الى قصور في الدولة
ومن ثم الى تدميرها.وقد يكون احد اوجه قصور
الدولة او انهيارها تجاوز الدعوات الاصلاحية
وعدم الالتفات اليها ،وقد حدث هذا الامر مع خاني
نفسه..حيث تجاهل اميره الغارق في شؤون امارته
مشروعه القومي .ومع ذلك لم يخرج احمد خاني
عن طبيعته كمتصوف يؤمن بنظام الاشياء
ومنطقها الداخلي لكنه لم يتوقف عند حد
السكوت المر بل حاول ان يوصل صوته الى
الأجيال اللاحقة ،وان يقف الى صف الفقراء.لقد
منح احمد خاني الاكراد كينونة قومية وفنية في
وقت واحد وهنا يكمن نجاح مشروعه الانساني اذ
طوى النسيان الامير ميرزا فيما بقي هو خالدا .

5

اردت ان اصل من هذا الاستعراض
السياسي في شعر خاني الى زوايا لم تقرأ على

..الصورة المرسومة تبدو صورة قاتمة خاصة اذا
كان المقربون من الامراء فاسدين وانتهازيين.ولا
فرق ان تكون ابا او اخا او ابنا لامير ما فهذا لن
يشفع لك لان الدنيا قد تحترق بسبب نزوة
اميرية، وفي الحقيقة يلتقي خاني بكثير من
المتصوفة في اشمزازه من الامراء ،لذلك يتحول
نص احمد خاني إلى أداة للإدانة..يشهرها بوجه
الزيف والكذب والاستغلال..والطريف في الامر
كله انه يستعيز بالله منهم،تماما كما لو كانوا
شياطين.

لنصعد خطوة اخرى مع نقد احمد خاني:

ثمة امراء عاقلون محترمون لكنهم سذج عديمو التمييز
اولئك السذج من بلاهتهم ونقص عقولهم لا يلقون
بالا لمنشأ الكلام
قلوبهم في اذانهم ولا اذان في قلوبهم
مظلمة عيونهم يغشاها البياض

(المصدر نفسه ص525)

النقد حاد يتلاعب بالامراء يعريهم يظهرهم
كورثة اغبياء شبعوا ترفا حتى لم تعد لهم امكانية
للتمييز بين ما هو حق وما هو باطل. اما عيونهم
فعيون منطفأة كعيون سمكة ميتة.

كل ما يقوله لهم المغرضون يصدقونه سواء
اكان صدقا او كذبا
لا يقولون هذا صالح او سيء.. ولا يسألون
عن الخطا او الصواب
انهم قاصرو النظر عديمو التأمل،حاضرو
الغضب،عديمو التحمل

(المصدر نفسه ص526)

ماذا يمكن ان يقال اكثر مما قال ؟

هل بقي شيء لم يقل ؟

أي امراء هؤلاء الذي وضعهم احمد خاني
تحت مشرطه . هم على شاكلة بوابيهم الفاسدين
..وربما يدل تتابع الصفات في البيت الاخير او ما
يسمى في البلاغة بشاهد الجمع مع التقسيم على
تذمر شعبي كان يسري في دم الفقراء:

اغلبهم يغتر بعقله، واكثرهم بعيد عن العلم والمعرفة
ياتون بالحاقدين والحقيرين وسيء النعال والسفلة

غريب بالنسبة لهم او بالاحرى بعيد عنهم ولا يعرفون او لا يريدون ان يعرفوا كيف يصلون الى قلب مملكته الدافيه. لقد سجن احمد خاني في تمثال نصفي وضع على ناصية شارع في دهوك..وبجواره تعلقوا قهقهات لشبان ارقوا من تزييف رسائل الموبايل.. شبان يحلمون بالذهاب الى اوربا والتسكع هناك. حين المح الشبان يمرون بتمثاله دون ان يشعروا به تتراءى لي صورة الامير الذي لم يحاول ان يتفهم دعوته.لقد فر خاني من سجن الفناء الادبي ليظل نداء محبوسا في تمثال وضع على ناصية شارع في دهوك.

6

مكافاة احمد خاني

هل كوفئ احمد خاني..؟

وماذا كانت مكافاته؟

فهذا الرجل الذي قدم مشروعا تنويريا.. والذي منح الكورد كينونة قومية وفنية.. قال عن مكافاته:

لم يقل أحد مطلقا: شكرا ياخاني

مع ان قلبه موطن للكنوز

(المصدر نفسه ص359)

(جواهر المعاني شرح تحسين دوسكي قصيدة رقم

عشرين..دار سبيريز ص245)

هذه كانت مكافاة احمد خاني، ولكننا لا ينبغي ان نقرأ اعترافه بصورة معكوسة. فقد حاول بعض الباحثين الاستنتاج بان خاني يؤس اخيرا بسبب فشل مشروعه التنويري والحقيقة ليست كذلك.. وربما كان استعراضنا لنقمته المتصاعدة دليلا قويا على ان احمد خاني لم يبلغ درجة الياس.بل كان يذكر زمنه او الاجيال التي ستاتي بعده..يذكرهم بموقف المتصوف العميق او بعبارة اكثر دقة كان خاني يوضح قانونا مفاده ان السلطة تحاول نفي المثقف واحد اشكال نفي المثقفين تجاهلهم.. وقد استطاع خاني ان يصبح نداء ما زال كثير من المهتمين بالادب والنقد يستمعون اليه.

وجهبها الصحيح.في شعره يلتقي العشق مع النقد السياسي او ما اسميه بالنقمة البريئة من كل مصلحة شخصية.اريد ان اشير ايضا الى ان احمد خاني سعى الى ان يدشن ملكة النقد الحر لدى الكورد.. النقد الذي يحاكم المسؤول ولا يابه بسلطته.وهكذا شاهدناه يتدرج في نقمته من العتاب الذي تفوح منه رائحة التذكير الى السخرية الجارحة من الامراء وهو في كل خطواته النقدية.. لم يفقد براءة النقمة ابدا كما اشترت قبل قليل.

نداء احمد خاني الى الشبان الاكراه

قلت ان تمثال احمد خاني وضع على ناصية شارع في دهوك..ولا بد من اعادة هذا التمثال النصفي الى مكانه الصحيح ليتناسب مع الدور الذي لعبه خاني في الثقافة الكردية.لقد نادى منذ قرون على ضرورة التوازن في حياتنا، فلا يجوز ان يطغى الجانب المادي على الحياة برمتها..لأنها ستقلب الى لا حياة.وهذا ما استدعي ان يؤخذ الجانب الروحي بنظر الاعتبار.

في قصته الشعرية مم وزين دعوة الى اعادة النظر في رغباتنا واتجاهاتنا. ولعل بطله مم العاشق الشفاف نموذج روعي فذ لمنطق لم يستسلم لطين المادة بكل لزوجته..اذن نداء خاني يتلخص في عدم التشبث بما هو مادي فقط، بل الاقتراب من نبع الروح والجمال والمعرفة لكي تكتمل صورة الذات كونها روحا وجسدا وبالتالي لا يجوز ان يطغى احدهما على الاخر.

لكن الاسئلة التي لا مفر من الاجابة عليها هي: هل يعي الشبان الكرد الآن رسالة احمد خاني .. هل فكروا قليلا بمنجزه الروحي؟

هل فكروا بنقمته الرصينة؟

هل فكروا بكرهه للاستغلال؟

هل فكروا بحبه لقوميته؟

اسئلة كثيرة تطرح نفسها لكن الاجابة عليها اصعب مما نظن. شباب اليوم يمرون بتمثال احمد خاني دون ان يلقوا عليه حتى نظرة عابرة فخاني